

المحاضرة الخامسة: نظريات التعلم

1- مفهوم النظرية:

حاول الإنسان منذ وجوده الأول تفسير الظواهر الإنسانية التي تخصه والظواهر الطبيعية التي تجري حوله، فمن منطلق حاجته إلى المعرفة والعلم كان لابد له من إيجاد تفسيرات لهذه الظواهر، لكنه أدرك أنه لا يمكن إلا من خلال وجود إطار نظري واضح في ميدان النظريات، فما العلم إلا سلسلة متشابكة منها، ففي كل حالة تبين أنها على علاقة بحالة أخرى في مجال العلم، فهي حالة تزخر بالنظريات.

2- تعريف النظرية العلمية:

تعدّ المحاولات التي عنيت بالنظرية العلمية وبمعناها عن تعدد الرؤى بصدد تعريفها، فلم يجتمع العلماء على تعريف واحد لها، لأنها تختلف باختلاف موضوع الدراسة من ناحية، وباختلاف العلماء أنفسهم من ناحية أخرى.

أ. تعريف "دي سوسير": للنظريات العلمية بأنها "طرائق في النظر إلى العالم، وإن الأخذ بها يؤثر على عموم اعتقاداتنا وتفسيراتنا، ومن ثم، على خبراتنا ومفهومنا عن الواقع".⁽¹⁾

ب. تعريف "أرنولدوز": بأن "النظرية كل متكامل من التعريفات والفروض العامة التي تغطي ظاهرة ما يشتق منها مجموعة شاملة و منسقة من الفروض المحددة والقابلة للاختبار اشتقاقا منطقيا".⁽²⁾

وهذا التعريف الذي كثر اقتباسه يرى أن النظرية عبارة عن قضايا أو فروض تفسير ظاهرة ما، ويمكن أن تعد هذه القضايا مقدمات نستنتج منها بقية القضايا.

- تعد النظرية العلمية: بمثابة محاولة لوصف مجموعة من الظواهر موضوع البحث ويوجد الظواهر غير المتجانسة بطريقة منهجية عن طريق ربطها بغيرها في نسق واحد.

- "قد تكون النظرية: نسقا موحدًا من القوانين أو الفروض، بحيث يتميز هذا النسق بقوة تفسيرية".

ويرى العلماء أنه من الناحية العلمية البحتة لا تُولف مجموعة من القوانين نظرية مقبولة إلا إذا كانت هذه المجموعة صحيحة من الناحية المنطقية، وكانت نتائجها متفقة مع الواقع، وحينئذ توفر النظرية تفسيراً لهذه القوانين التي يشترط أن تكون منسجمة ومتربطة منطقياً فيما بينها.

ج. "النظرية العلمية: نسق استنباطي تتابع فيه النتائج منطقياً من ارتباط الوقائع داخل مجموعة الفروض الأساسية التي ينطوي عليها النسق". وتأسيساً على ما سبق يمكن تحديد النظرية بأنها: مجموعة من القوانين مهمتها فهم مجموعة محددة من الظواهر، ثم بيان العلاقة بينهما وتقديم تفسير مناسب لها، تلك نماذج متعددة لتحديد معناها، توضح ضروب الخلط الواضحة في محاولات التعريف، مما يؤدي إلى وجود أنواع مختلفة من النظريات نتوصل إليها بإجراءات مختلفة.⁽²⁾

3- مفهوم التعلم والتعليم والفرق بينهما:

اقترح الباحثون في مجال علم النفس العديد من التعريفات لمفهوم التعلم، غير أن الاعتماد على تعريف واحد لا يمكننا من وصف هذه الظاهرة بصورة دقيقة وشاملة، إذ أن جل هذه التعريفات تعد مؤقتة وقابلة للمناقشة.

¹- عدل عوض ، منطق النظرية العلمية المعاصرة وعلاقتها بالواقع التجريبي دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2006، ص45.

²- نفس المرجع، ص 45.

²-عادل عوض، المرجع السابق، ص46.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

ويعرف التعلم بأنه: "عملية تغيير شبه دائم في سلوك الفرد، لا يمكن ملاحظته مباشرة، ولكن يستدل عليه من الأداء أو السلوك الذي يصدر من الفرد، وينشأ نتيجة الممارسة كما يظهر الذي تغير أداء الفرد".

ويتفق علماء النفس عامة، على أن التغيرات السلوكية الثابتة نسبياً تتدرج تحت عنوان "التغيرات المتعلمة"، ومعنى ذلك، أن التغيرات المؤقتة في السلوك لا يمكن اعتبارها دليلاً على حدوث التعلم.⁽¹⁾

3-1- المفهوم الجديد للتعلم: إنه لأمر جديد نسبياً في النظرية التربوية أن ننظر إلى التعلم من ناحية مفاهيمية على أنه تفكير، بمعنى أنه ينطوي على استعمال معرفة سابقة واستراتيجيات خاصة لفهم الأفكار في نص ما باعتباره كلا واحداً أو لفهم عناصر المسألة (المشكلة) باعتبارها كلية واحدة، وإنه لأمر جديد تماماً كذلك أن نفترض أن المدارس تحدث أثراً في التعلم، وإن خبرات تدريسية ملائمة، وأنه يفترض تعليم التلاميذ مراقبة أدائهم والسيطرة عليه.

ويرى "جونز" ورفاقه: "أن هناك ست فرضيات عن التعلم مستندة إلى نتائج البحث التربوي، كما أن هذه الفرضيات تشكل المفهوم الجديد للتعلم، وأنها ذات أثر حاسم في الكيفية التي ينفذ بها التدريس."⁽²⁾

3-2- تعريف التعليم: هو التصميم المنظم المقصود للخبرة، أو الخبرات التي تساعد المعلم على إنجاز التغيير المرغوب في الأداء.

وهو أيضاً: العملية التي يمد فيها المعلم التلميذ بالتوجيهات، ويحمله مسؤولية إنجاز وتحقيق الأهداف التعليمية. وهو كذلك: الجهد الذي يخطه المعلم، وينفذه في شكل تفاعل مباشر بينه وبين التلميذ، وهنا تكون العلاقة بين المعلم كطرف والمتعلمين كطرف آخر، من أجل تعليم مثمر وفعال.⁽³⁾

3-3- الفرق بين التعلم والتعليم:

إن الغايات التي يستهدفها التعليم هي التعلم، ولا جدوى من التعليم وطرائقه المختلفة إن لم يحقق تعلماً لدى المتعلم. أما الفارق المهم بين التعلم والتعليم فيتمثل فيما يلي:

- أ. يتعلم المتعلم:** بشكل غير مقصود أحياناً، إي بطريقة عرضية، ولكن التعليم لا يكون إلا مقصوداً.
- ب. يتعلم المتعلم:** ما ينفعه وما يضره، فقد يتعلم الإدمان على التدخين أو مص الأصابع، ولكن التعليم لا يركز إلا على الغايات التي يقرها المجتمع، ويؤمن بفائدتها للمتعلم.
- ج. يسير التعليم:** وفق خطوات منظمة، ويتدرج مدروس، أما التعلم فقد يأخذ شكلاً استخبارياً فجائياً، وقد يكون مصاحباً بتعلم أمور لم يكن المتعلم مدفوعاً لتعلمها أصلاً.
- د. لا يحدث التعليم:** إلا إذا نجح المعلم في استثارة انتباه المتعلم، بينما يتعلم المتعلم من تلقاء نفسه أحياناً حيث لا يدري أنه يتعلم.

ويقول فؤاد أبو حطب: "لو عرفنا التعلم بأنه تغير شبه دائم في الأداء يحدث نتيجة لظروف الخبرة والممارسة أو التدريب، فإنه حين نضيف إلى التعريف السابق شرطين أساسيين هما:

¹-صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، عمان، ط5، 2006، ص146-147.

²-المرجع نفسه، ص147.

³-عبد الرحمن الهاشمي وطه علي حسين الديلمي، استراتيجيات جد حديثة في فن التدريس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2008م، ص20.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

- تحديد السلوك الذي يجب تعلمه وتوصيف الظروف أو الشروط التي يتم فيها هذا التعلم، والتي تلائم السلوك موضوع التعلم⁽¹⁾.
 - التحكم في الظروف التي تؤثر في سلوك التعلم: بحيث يصبح هذا السلوك تحت السيطرة من أجل تحسينه كما وكيفاً.
- إذاً حينذاك نكون قد انتقلنا من التعليم إلى التعلم وحين نضع بعين الاعتبار المشكلات العلمية والضروريات التطبيقية نفسها، نكون قد انتقلنا إلى عملية التدريس التي هي من اختصاص المناهج وطرق التدريس⁽²⁾.
- تجربة الاشتراط الكلاسيكي في نظرية بافلوف "السلوكية":

عندما كان "بافلوف" (Ivan Pavlov) منشغلاً بدراسة عملية الهضم والغدد الهضمية ونظام أعصابها وانعكاسها عند الكلاب الجائعة لغرض علمي محض، انتبه بالمصادفة إلى ظاهرة أثارت اهتمامه، وهي لعاب الكلاب عند رؤيتها الطعام، أو رؤيتها الشخص الذي يطعمها عادة، وقد يسيل اللعاب أحياناً بمجرد سماع حركة ذلك الشخص - الذي يطعمها عادة - عن بعد حتى ولو كان غائبا عن الحس والبصر. اهتم "بافلوف"، منذ الانتباه إلى هذه الظاهرة، بتركيز الملاحظة الواعية، والحضور المستمر، لرصد الظاهرة، ومحاولة ضبط مجالها الإجرائي، وذلك بتعميقها أكثر عن طريق التعديل الموجه، وكان ذلك بالعمل التالي⁽²⁾:

يوضع الكلب في صندوق عازل للصوت بعد تعرضه لعملية جراحية، يوضع على منضدة مع ربطه رباطاً مريحاً يمنع من التحرك، ويتم إيصال الغدد اللعابية للكلب بأنبوب زجاجي لضبط كمية اللعاب التي تظهر في الأنبوب الزجاجي الاختباري المدرج في صورة قطرات متوالية، ثم يقدم الطعام للكلب كالعادة، لكن هذه المرة يكون بمثير مصاحب خارج عن الطعام نفسه، لم يكن الكلب قد ألفه من قبل، هذا المثير الجديد هو قرع الجرس أثناء تقديم الطعام.

لاحظ "بافلوف" أن الكلب لم يستجب في البداية لهذا المثير الجديد (الجرس)، ولكنه بعد تكرار التجربة من عشرين إلى أربعين أصبح هذا المثير قادراً على إحداث الاستجابة المتمثلة في سيلان اللعاب حتى وإن كان مقترناً بإحضار الطعام هذا، وقد سمي "بافلوف" الجرس في هذه الحالة بـ"المنبه الشرطي"، وسمى "الطعام" بالمنبه غير الشرطي أو "الأصلي"، وسمى عملية سيلان اللعاب بـ"المنعكس الشرطي"، وهو اقتران حدوث المثير الأصلي بمثير آخر عن طريق التجربة المتكررة عدة مرات، فيكتسب المثير الجديد صفة المثير الأصلي، وينوب عنه في إحداث الاستجابة وهذا النوع من الاكتساب أبسط أنواع التعلم عند الكائن الحي⁽³⁾.

¹ - سامي سلطي عريفج، مقدمة في علم النفس التربوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م، ص161-162.

² - المرجع نفسه، 162.

² أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م، ص56-57.

انظر: سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم، عمان، الأردن، 2006، ص298-299.

³ - أحمد حساني، المرجع السابق، ص57، 58. نقلاً عن: محمد سلامة آدم وتوفيق حداد، علم النفس الطفل، منشورات وزارة التربية، الجزائر، 1973م، ص175.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

1- المفاهيم الأساسية في تجربة بافلوف:

- أ- المثير غير الشرطي: يتمثل في "قطع اللحم" التي كانت تقدم للكلاب موضوع التجربة، والتي يتميز بها هذا المثير تتجلى في كونه يحدث الاستجابة برتابة واستقرار وثبات تام بمعزل عن أي تدريب موجه.
- ب- الاستجابة غير الشرطية: هي الاستجابة الناتجة عن وجود مثير غير شرطي، فهي الصورة الحقيقية للاستجابات الانعكاسية الآلية التي تظهر بسرعة وقت حدوث المثير غير الشرطي، مثل إفراز اللعاب،...
- ج- المثير الشرطي: هو المثير الذي يؤدي بالضرورة إلى إحداث استجابة عن طريق اقترانه الدائم بالمثير غير الشرطي، مما يجعل إمكانية ظهور استجابة جديدة تكون مشروطة بوجود المثير الشرطي، وتسمى الاستجابة للمثير الشرطي بالمنعكس التوجيهي.
- د- الاستجابة الشرطية: تتمثل في المنعكس الذي يحدث نتيجة اقتران مثير شرطي بمثير غير شرطي، وهي أساس الإجراء الاشتراطي عند "بافلوف".⁽¹⁾
- *نقد نظرية "بافلوف" الاشتراطية الكلاسيكية في السلوك:

ومن النقد الموجه إلى هذه النظرية ما يلي:

- أثرت خلفية "بافلوف" كباحث فيسيولوجي تأثيرا كبيرا في المنهج الذي استخدمه في بحث الظاهرة النفسية، ويدين علماء النفس له في الدقة التي توخاها في أبحاثه من خلال منهجه الموضوعي، فلقد تحكّم في العوامل المستقلة (المثيرات) إلى أقصى حد ممكن، فنوع في طبيعتها ودرجتها، حيث استعمل تارة مثيرات ضوئية، وتارة مثيرات صوتية، وتارة مثيرات حسية للوصول إلى الكشف عن حقيقة العلاقة القائمة بين التغيرات الحيادية وبين الاستجابة الشرطية.
- أضافت نظرية مفهوم "الاستجابة الشرطية" إلى مجال علم نفس التعلم، حيث لم تكن مستقلة قبل ذلك.
- أغفل عنصر "الإدراك" في التعلم، إذ أنه أرجع التعلم الاشتراطي إلى مفهومي التكرار والاقتراب بين المثير الشرطي والمثير الطبيعي.
- لم يتعد بحثه خارج إطار الاستجابة الشرطية، بحيث أنه لم يبحث في دراسة الظواهر النفسية الأصلية مثل: اكتساب مهارة أو تعلم طرق التفكير.

- تظهر أهمية نظرية "بافلوف" في تعلم الكلام وتعلم اللغة عند الأطفال، إذ أن لغة الأطفال يتم تعلمهم عن طريق اشتراطها بمعزز، لذلك يميل الطفل إلى تكرارها.⁽²⁾

2- التطبيقات التربوية لنظرية "بافلوف".

- هناك بعض التطبيقات التربوية نستطيع الاستفادة منها في عمليات التعلم والتعليم ومنها:
- ضرورة حصر مشتتات الانتباه في غرفة الصف، فقد تبين أن الاشتراط يحصل بشكل أيسر حين يقدم المثير الشرطي وغير الشرطي في موقف لا تكثر فيه المثيرات المحايدة التي لا علاقة لها بالموقف التعليمي.

¹-أحمد حساني، المرجع السابق، ص58، نقلًا عن: ستوارت هولس وآخرون، سيكولوجية التعلم، ص30.

²-محمد جاسم محمد، نظريات التعلم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص132، 131. (بتصرف يسير)

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

- ضرورة ربط تعلم التلاميذ بدوافعهم من جهة، وتعزيز العمل التعليمي من جهة أخرى، لأن غياب المثير غير الشرطي يؤدي إلى انطفاء الاستجابة المتعلمة.(1)
 - كل تعلم في رأي التعلم الشرطي عبارة عن استجابة لمثير أو باعث، ومن ثم كانت دراسة الاستجابة التي يقوم بها المتعلم ذات أهمية بالغة في إتقان ما يتعلم، ومن هنا بجدر بالمدرس تدوين تلك الاستجابات والقيام بدراساتها دراسة دقيقة لمعرفة مدى التحسن الذي يطرأ عليها، وفي الوقت ذاته يستحسن أن يطلع المدرس تلاميذه على مدى التحسن الذي يظهورونه في مختلف العلوم والمهارات.(2)
 - يمكن الاستفادة من أفكار "بافلوف" عن انطفاء الاستجابة في إبطال العادات السيئة التي تظهر عند لتلاميذ أثناء القراءة أو الكتابة أو الحساب.
 - يعتبر التعزيز الخارجي من المبادئ الأساسية التي يعتمد عليها الآن في التعلم.(3)
- ### 3- تجارب "واطسن" في التعلم الشرطي الكلاسيكي:

"واطسن" - John Broadus Watson - ونظرية التعلم الشرطي الكلاسيكي (التكرار):

أ. التجربة الأولى: استطاع "واطسن" أن يثير خوف طفل بلغ من العمر أحد عشر شهرا من فأر اعتاد أن يلعب به عن طريق الاشتراط وقد استطاع "واطسن" في هذه التجربة إحداث هذا الخوف عن طريق تقديم مثير يثير الخوف - بطبيعته - عند الطفل وهو صوت قوي مفاجئ بمصاحبة الفأر، وهو مثير محايد اعتاد الطفل أن يلعب به، بحيث اكتسب الفأر صفة المثير الطبيعي للخوف، وبحيث أصبح الفأر بمثابة مثير للخوف، وهكذا تكون ارتباط بين الفأر واستجابة الخوف ثم عممت بعد ذلك هذه الاستجابة، بحيث أصبح الطفل يخاف من كل ما له ملمس وشكل الفأر.

ب. التجربة الثانية: استطاع "واطسن" أن يزيل الخوف عن طفل كان يخاف من الأرانب، وذلك عن طريق تقديم أرنب أبيض بمصاحبة مثير يثير السرور عند الطفل (تقديم الحلوى للطفل)، وقد استطاع الطفل بالتدريج أن يتخلص من هذا الخوف المرضي.(4)

- قيمة نظرية "واطسن" السلوكية:

هي نظرية تقوم على القانون القائل بأن المحاولات الناجحة هي التي تبقى، في حين أن المحاولات الفاشلة تذهب ولا تعود، والإنسان يستجيب للأفعال الناجحة التي تقوده إلى الغاية إلى يريدها ويتعد عن المحاولات الفاشلة، وبواسطة هذا التكرار يتعلم الإنسان، ولذا تعتمد نظرية "واطسن" على التدريب.(5)

ويرى "واطسن" أن علم النفس هو علم السلوك، والأسلوب الموضوعي لدراسة الظواهر التي يمكن ملاحظتها، وقد وجد في مفهوم "الاشترط" أسلوبا سليما لدراسة عملية التعلم والعمليات العقلية العليا، ويؤكد في نظريته السلوكية التي هي مزيج من

1- صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التربوي، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط5، 2006-1427هـ، ص171.
2- محمد مصطفى زيدان، نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، لجزائر، ص118، نقلا عن: مصطفى فهمي، سيكولوجية التعلم، مكتبة مصر، عام1957، ص84-90.

3- صالح محمد علي أبو جادو، المرجع السابق، ص171.

4- سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط2، 2006م-، ص306-307.

5- محمد الطيبي وآخرون، مدخل إلى التربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط2، 2009م، ص146.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية) د. بلقاسم جياب

أفكاره الخاصة وما وصل إليه العلماء الروس أمثال "بافلوف" دور البيئة الاجتماعية في تكوين ونمو شخصية الفرد، وكذا أهمية دراسة وقياس آثار المثيرات المختلفة في عملية التعلم وفي السلوك بصفة عامة.⁽¹⁾

كما أن هذه الدراسات وغيرها دليل على أن السلوك المرضي يمكن اكتسابه كما يمكن التخلص منه، مثله مثل السلوك العادي، إذ هي عملية تكوين ارتباطات بين مثيرات واستجابات.⁽²⁾

إن بحث "واطسن" والسعي الحثيث نحو إجراء تجارب مخبرية والتشجيع عليها هو منهج علمي غيور على أن تقدم العلم، وتطور فهم التعلم كبناء سيكولوجي مهم.⁽³⁾

4- "إدوارد إل. ثورندايك" - Edward Lee Thorndike - ونظرية الارتباط (المحاولة والخطأ) السلوكية تجربة ثورندايك:

وضع ثورندايك "قطعة جائعة في قفص مقفل ووضع خارج القفص وعاء به بعض الطعام، بحيث ترى القطعة الطعام ولا تستطيع الوصول إليه إلا إذا خرجت من القفص ولا يمكن للقطعة أن تخرج من القفص إلا جذبت سقطة أو مزلاجاً موجوداً بداخل القفص تؤدي إلى فتح الباب.

راقب "ثورندايك" سلوك القطعة ولاحظ أنها بدأت ببذل محاولات مباشرة في اتجاه الطعام، فحاولت أن تنفذ منها، وحاولت الوصول إلى الطعام بمد يديها من خلال القضبان، وهكذا استمرت في مجموعة من المحاولات التي لا تؤدي إلى الهدف وحدث أخيراً في أثناء تحرك القطعة في القفص أن جذبت السقطة فانفتح الباب وخرجت من القفص ووصلت إلى الهدف وتناولت الطعام، ويتكرر هذه التجربة وجد أن الحركات الخاطئة التي كانت القطعة تقوم بها أخذت تقل تدريجياً، وأمكن للقطعة في النهاية إصدار الاستجابة الصحيحة بعد وضعها في القفص مباشرة، ولقد قام "ثورندايك" بتسجيل الزمن الذي يستغرقه القط في المحاولات العشوائية إلى أن يخرج فوجد أنه في كل مرة يتناقص تدريجياً.

بتحليل سلوك القطعة في أثناء تعلمها (المحاولة والخطأ) الخروج من القفص والوصول إلى الطعام نجد أن:

* لا بد من وجود حاجة أو دافع لدى الحيوان يوجه سلوكه نحو الهدف

* وجود عقبة تحول دون وصول الحيوان إلى الهدف، وهذه العقبة تمثل مشكلة يجب أن يصل الحيوان إلى حلها قبل أن يصل إلى الهدف.

* يبذل الحيوان عدداً من الاستجابات الخاطئة أو العشوائية قبل أن يصل إلى حل المشكلة والوصول إلى الهدف.

* بعد أن يصل الحيوان إلى الاستجابة الصحيحة يصبح سلوكه في المرات التالية أقل عشوائية، وتقل المحاولات الخاطئة بالتدريج.⁽⁴⁾

* القوانين الرئيسية في نظرية "ثورندايك" السلوكية:

¹-سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص306.

²- المرجع نفسه، ص307.

³-يوسف محمود قطامي، نظريات التعلم والتعليم، دار الفكر، عمان-الأردن، 2005م، ص78.

⁴-سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن 2، 2006، ص309-310.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

-قانون الأثر: عندما تكون الرابطة بين المثير والاستجابة بحالة ارتياح فإنها تقوى، أما إذا كانت مصحوبة بحالة ضيق أو إزعاج فإنها تضعف، ويرى "ثورنبايك" أن العمل الرئيس في تفسير عملية التعلم هو المكافأة، فالمتعلم يحتفظ بالاستجابات الناجحة التي تترك أثرا إيجابيا، ويسقط من اهتمامه الاستجابات التي لا أثر لها في خبرته.⁽¹⁾

-قانون التدريب-"التكرار": يشير هذا القانون إلى تقوية الروابط بالتدريب (قانون الاستعمال) وإضعاف الروابط. (أو الإهمال والنسيان) حين ينقطع التدريب (قانون الترك)، إذ أن تكرار الرابطة بين المثير والاستجابة يؤدي إلى تثبيت الرابطة وتقويتها، وبالتالي يصبح التعلم أكثر رسوخا.⁽²⁾

-قانون الاستعداد: ويتعلق هذا القانون بحالة المتلقي أثناء العملية التعليمية، فإذا لم يكن المتعلم مهيا نفسيا للتلقي من أجل اكتساب الخبرة أو المهارة المقصودة، فإن التواصل بين المعلم والمتعلم سوف يندم، الأمر الذي يجعل الهدف المتوخى من عملية التعلم لا يتحقق، فعدم الاستعداد والتهيؤ العضوي والنفسي قد يعوق عملية التعلم بالمحاولة والخطأ التي هي أساس قائمة على تجاوز العوائق والصعوبات التي تعترض سبيل المتعلم.⁽³⁾

- قانون الاستجابات المتعددة: الكائن الحي مزود بقدرة على إجراء أساليب استجابات متعددة، وهذا ما يجعل التعلم ممكنا.

- قانون الاتجاه أو الموقف: إن اتجاه الكائن الحي وموقفه يؤثر في عملية التعلم.

-قانون التمثيل: إن الكائن الحي يستفيد من الخبرات التي مرت به ويستعين بها على حل الصعاب.

-قانون العناصر السائدة: يزود الكائن الحي بالقدرة على الاستجابة للعناصر السائدة في الموقف.⁽⁴⁾

النقد الذي وجه إلى نظرية "ثورنبايك": ومن النقد الموجه إلى هذه النظرية مايلي:

-أنه إذا كان الكائن الحي يتعلم عن طريق المحاولة والخطأ فقط دون إدراك للموقف فما تعليل بعض حالات الهبوط الفجائية في الزمن اللازم لخروجها في بعض المرات.

-أن تجارب "ثورنبايك" وتلاميذه أجريت على الحيوان، ولكن تعلم الحيوان لا يعطي فكرة صادقة عن تعلم الإنسان، ذلك أن الحيوانات لا تتكلم ولا تستخدم الرموز كما يفعل الإنسان، كما أنها ليست حساسة بنفس درجة حساسية الإنسان الاجتماعية، واستجابتها سريعة لا يسودها الكثير من التفكير.⁽⁵⁾

-أن التعلم بالمحاولة والخطأ لا يؤدي إلى اكتساب خبرة جديدة، لأن سلوك المحاولة والخطأ ما هو إلا استجابات غريزية ليس إلا، وما تحققه عملية التعلم فقط حذف بعض هذه الاستجابات، وترك بعضها دون إدراك لعلاقتها الداخلية مما يغييب الفكر الواعي عند المتعلم.⁽⁶⁾ وهذا رأي "كوفكا" (Koffka KURT) في مؤلفه الموسوم ب:

(principles of gestalt psychology. New-york 1935)

¹- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية-حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص64: نقلا عن سلامة آدم وتوفيق حداد، علم النفس الطفل، ص182.(بتصرف)

²-فاخر عاقل، التعلم ونظرياته، دار العلم للملايين ، بيروت-لبنان، آذار، 7-ط-مارس1993م، ص148.

³-أحمد حساني، المرجع السابق، ص63.

⁴- محمد جاسم محمد، نظريات التعلم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2004م، ص80-81

⁵-محمد مصطفى زيدان، نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص84.

⁶-أحمد حساني، المرجع السابق، ص64. نقلا عن: فاخر عاقل،مدارس علم النفس، ص163.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

- التدريس بناء على نظرية يتطلب من المعلم تقسيم الدرس على عناصر، وهذا التقسيم سيؤدي إلى تقنين السلوك الإنساني مما يترتب عليه خطورة بالغة، فالسلوك الإنساني كل لا يتجزأ.⁽¹⁾

التطبيقات التربوية لنظرية "ثورندايك":

للتعلم بالمحاولة والخطأ العديد من التطبيقات التربوية التي يمكن إعمالها داخل الفصل (القاعة) ومن أبرزها:

-مبدأ مشاركة المتعلم: وفي قانون الاستعداد أو التهيؤ على المعلم استثارة دافعية التلاميذ عن طريق إشراكهم في اختيار أنشطة التعلم وأساليبه.

-مبدأ تقوية الارتباطات عن طريق الممارسة، وفي ضوء قانون التدريب يجب على المعلم مساعدة تلاميذه على تكوين ارتباطات جديدة وتدعيم تكرارها وممارسة الارتباطات المرغوبة وإضعافها.

- مبدأ الأثر: في ضوء هذا القانون فإن على المعلم استخدام الوسائل الناجعة التي تهم التلاميذ ، ويمكن للمعلم إزاء ذلك توجيه التلاميذ نحو:

-الاهتمام بالعمل ذاته.

- الاهتمام بتحسين الأداء.

-مساعدة التلميذ على تحديد الأهداف وصياغتها.

-الأخذ بعين الاعتبار ظروف الموقف التعليمي الذي يوجد فيه التلميذ.

-الأخذ بعين الاعتبار الاستجابة المرغوب ربطها بهذا الموقف.⁽²⁾

5- تجربة "سكنر" في نظرية الإشراف الإجرائي:

بروسفرديريك سكنر - Burrhus Frederic "B. F." Skinner - ونظرية الإشراف الإجرائي.

ومن تجارب "سكنر" الشهيرة، تجربة الحمامة، فقد تمكن من تعلم حمامة جائعة السير خلال متاهة تأخذ شكل الرقم العربي (8) فلقد قدمت كرات الطعام للحمامة عندما بدأت في الحركة عن كل حركة واسعة تجاه عقارب الساعة، فالحمامة مالت، لأن تكتشف الحركة عكس اتجاه عقارب الساعة بفعل التعزيز الدقيق.⁽³⁾

أ. أنواع السلوك عند "سكنر"

يتميز بين نوعين من السلوك وهما:

- السلوك الاستجابية: ويتمثل في أنماط الاستجابات التي تحدها المثيرات القبلية المنبهة لها، وتسمى العلاقة بين مثل تلك المثيرات والاستجابات بالانعكاس. وهذا السلوك حصر. هو انعكاس طبيعي لمجموعة من المثيرات، وهو فطري في شموليته، ومن الأمثلة على هذا النوع من السلوك: إغماض جفن العين عند تعرضها لنفخة هواء، أو البكاء الناجم عن تقطع شرائح البصل.⁽⁴⁾

¹-محمد جاسم محمد، المرجع السابق، ص83.

²-سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص316،315. (بتصرف يسير)

³-محمد جاسم محمد، نظريات التعلم، ص88.

⁴-صالح محمد علي أبو جادو، المرجع السابق، ص175،174.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

- **السلوك الإجرائي:** يتم هذا السلوك من الإجراءات المنبثقة من العضوية على نحو تلقائي دون أن تكون مقيدة بمثيرات معينة، وتقاس قوة الإشارات الإجرائي بمعدل الاستجابة، أي بعدد مرات تكرارها، وليس بقوة المثير التي ستجرها، ومثال هذا السلوك: قيادة السيارة أو ركوب الدراجة أو المشي على الأقدام بهدف الوصول إلى مكان ما هي سلوكيات إجرائية، ويقال عنها إنها إجراءات تصدر دون حاجة لافتراض مثير يستجرها.

ويميز "سكنر" ثلاثة أنواع من المثيرات التي تتحكم في السلوك الإجرائي كالمعززات اللفظية والمادية والاجتماعية والرمزية.

- **المثير العقابي:** ويقصد به كل أنواع العقاب مثل اللفظي والاجتماعي أو الجسدي، التي تلي حدوث السلوك الإجرائي، وتعمل على إضعافه.

- **المثير الحيادي:** (ويقصد به المثيرات التي تؤدي إلى إضعاف السلوك الإجرائي أو تقويته).⁽¹⁾
التطبيقات التربوية لنظرية "سكنر" السلوكية:

- استخدام التعزيز الإيجابي، ضمن الحدود العلمية بقدر الإمكان.

- ضبط المثيرات المنفرة في غرفة الصف وتقليلها، حتى لا يزداد استخدام أسلوب العقاب أو التعزيز السالب.

- ضرورة تقديم التغذية الراجعة، سواء أكانت في صورة تعزيز موجب أم تعزيز سالب أم عقاب، فور صدور السلوك عن المتعلم.

- الحرص على تسلسل الخطوات للاستجابات التي يجريها المتعلم وتتابعها، وتقديم التغذية الراجعة في كل ما يتعلمه التلميذ.⁽²⁾
المبحث الثالث: النظرية المعرفية (البنائية):

1- النظرية المعرفية عند "جون بياجيه - Jean Piaget -":

أ. مراحل النمو المعرفي عند "بياجيه":

- **مرحلة التفكير الحسي والحركي (من 0 إلى سنتين):**

في هذه المرحلة يبدأ الطفل في تكوين ما سماه بياجيه "الأسكيما"، ويكون الطفل أسكيما لكل حركة يقوم بها، ولكنها جميعا غير مرتبطة حيث يتعامل الطفل مع بيئته بفكره، وإنما بواسطة حواسه، وعضلاته فالطفل يكون أسكيما عن قبضه للرضاعة ويكون أسكيما أخرى عندما توضع الرضاعة في فمه ويكون أسكيما ثالثة عن مصه للرضاعة، ويمكن تلخيص مميزات هذه المرحلة كالتالي:⁽³⁾

- يتم التفكير بواسطة نشاط الطفل.

- يتحسن التأزر الحركي.

- يتطور الوعي بالذات تدريجيا.

- ظهور البوادر الأولى للغة.

¹-صالح محمد علي أبو جادو، المرجع السابق، ص175 (بتصرف)

²- المرجع نفسه، ص188.

³-صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التربوي، ص93.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

-مرحلة ما قبل العمليات من (2 إلى 7 سنوات):

يبدأ الطفل استعمال اللغة بشكل متمركز حول الذات، ويتمركز تفكير الطفل كذلك على ذاته وفي أواخر هذه المرحلة يصبح الطفل قادراً على القيام ببعض الاستنتاجات التي تستند إلى أحكام إدراكية حسية.

-مرحلة العمليات الحسية: يستخدم اللغة بأسلوب موثوق به على الرغم من إسناده على المحسوسات، ويبدأ بالتعامل مع المسائل بصورة نظامية يكتسب مهارات، حفظ الأشياء أو بقائها.

-مرحلة العمليات العقلية المجردة (من 11 أو 12 سنة فما فوق):

يستطيع ممارسة التفكير المجرد، يستخدم التفكير المنطقي يعلل ويضع فرضيات ويتوصل لاستنتاجات وتعميمات واستدلالات يستطيع حل المسائل بصورة نظامية، يفهم انعكاسات الأشياء ويقدر عواقب المستقبل ونتائج الماضي.⁽¹⁾

ب. المفاهيم الأساسية في نظرية "بياجية":

-النمو المعرفي: في تزايد ارتقائي منظم لأشكال المعرفية التي تتشكل من حصيلة الخبرات ويهدف إلى تحسين عملية التوازن بين عملية لاستيعاب والملائمة.

-البنية المعرفية: يقول "بياجية" إن نمو الكائن يتم بنيات معينة ذات طبيعة بيولوجية، حيث تتأزر بنيات الطفل الأولية مع بعضها البعض لتصبح بنيات جديدة بعد فترة من التفاعل مع البيئة خلال عمليات التمثيل والموائمة.

-التكيف: هو التغير البنائي أو الوظيفي الذي يحقق به الكائن العضوي بقاءه، وبها يربط "بياجية" ربطاً وثيقاً بين العمليات النفسية والبيولوجية.

-التنظيم الذاتي: ويندرج ضمن التكيف، ويرى "بياجية" أن الإنسان بطبيعته لديه استعدادات معينة تساعده في تنظيم الخبرات التي تأتيه من التأثيرات الخارجية، وينظمها في إطار ما لديه من تكوينات أو ردود أفعال موروثية.

-الموائمة: وهي عبارة عن عملية توافق من جانب الكائن العضوي نفسه بحيث يتكيف بشكل أفضل مع الظروف الراهنة، أي تعديل الكائن العضوي، وهذا يعني إما إضافة أنشطة جديدة إلى خبراته أو تعديل أنشطته القائمة تجاوباً مع ظروف البيئة الخارجية.⁽²⁾

- المماثلة: هي عملية التغيير التي تطرأ على بعض جوانب البيئة، حيث يتم تلقي المعلومات الجديدة منها، ويفسرها في ضوء نشاط معين موجود بالفعل في ذخيرة الكائن العضوي من الأنشطة، أي أن هذه المعلومات تدخل في التراكيب المعرفية ليستخدماها الطفل في تفسير المعرفة الجديدة.⁽³⁾

- أسكيما (المخططات الذهنية): صورة إجمالية ذهنية لحالة المعرفة الموجودة لدى الطفل، تتمثل في تصنيف وتنظيف الخبرات الجديدة التي يدخلها الطفل في أبنيته الذهنية المعرفية، وهي طريقة يستخدمها الطفل في تمثيل العالم والأحداث بصورة ذهنية.

الوظائف العقلية: ويشير إلى العمليات التي يلجأ إليها الفرد عند تفاعله مع المثيرات البيئية التي يتعامل معها.⁽¹⁾

¹-سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص397.

²-موريس شريل، التيارات الفكرية للتربية العصرية، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2006، ص167، 166. (بتصرف)

³-المرجع نفسه، ص167.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

التطبيقات التربوية لنظرية بياجيه:

- إن توفير المواد المحسوسة في غرفة الصف، تعد أمراً أساسياً في تنظيم تعلم الأطفال، لما له من قيمة في اكتشاف طرق الأطفال في التفكير.
 - ضرورة بناء مواقف تربوية تتسم بالتحدي المعقول لقدرات الأطفال المعرفية، بحيث لا تصل مواقف التحدي هذه إلى حد تعجيز الطلبة، وشعورهم بالتالي بالإحباط والفشل.
 - ضرورة الاستفادة من أخطاء الطلاب في بناء مواقف تعليمية تعلمية، تتجاوز من خلالها جوانب الضعف في أدائهم.
 - إن إتاحة العديد من فرص التفاعل بين الطفل وبيئته الطبيعية أو الاجتماعية يساعد كثيراً على تطورهم المعرفي.
 - لا ينظر "بياجيه" إلى الطفل على أنه رجل صغير، لأن له طرائقه الخاصة في التفكير التي تميزه من مرحلة نمائية إلى مرحلة أخرى، فالأطفال يفكرون بطرائق خاصة بهم، ويقع الأطفال في أخطاء يصعب على الكبار التنبؤ بها.
 - يؤدي التفاعل مع الآخرين دوراً تعليمياً بارزاً في المجال المعرفي والمجال الوجداني وفي المجال الاجتماعي.⁽²⁾
- ج. مراحل النظرية المعرفية: إن التفكير المعرفي يتطور عبر ثلاث مراحل هي:

- **مرحلة تشكيل المفهوم:** هي استراتيجية الأساسية في تعليم التفكير الاستقرائي إلى زيادة قدرة الطلاب على معالجة المعلومات، وذلك بتوسيع نظمهم المفهومية وتنطوي
- مرحلة تشكيل المفهوم على النشاطات التالية:
- تحديد الحقائق والمعلومات وتعدادها.
- تجميع (تصنيف) المعلومات.
- تطوير الفئات وتسمية المجموعات.
- **مرحلة تفسير المعلومات:** تهدف استراتيجية التعليم لهذه المرحلة إلى تطوير عمليات الفهم والاستنتاج والتعميم، وتتضمن النشاطات التعليمية التالية:
- تحديد جوانب معينة من المعلومات
- فهم المعلومات وتفسيرها.
- الاستنتاج والتعميم.

- **مرحلة تطبيق المبادئ:** تتلو هذه المرحلة، مرحلتها تشكيل المفهوم وتفسير المعلومات أو البيانات، وتهدف إلى توسيع قدرة التلميذ على تطبيق المبادئ التي تم الوصول إليها في المرحلة السابقة، والتنبؤ بالعواقب المستقبلية في ضوء الشروط الضابطة، أما النشاطات التعليمية التي تنطوي عليها هذه المرحلة فهي:

- التنبؤ بالعواقب
- تفسير التنبؤات والافتراضات.
- تنويع التنبؤات والافتراضات.⁽³⁾

¹- صالح محمد علي أبو جادو، المرجع السابق، ص103.

²- صالح محمد علي أبو جادو، المرجع السابق، ص105-(بتصرف).

³- عبد المجيد نشواتي - علم النفس التربوي - ص563-566.

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية)

د. بلقاسم جياب

معاني وتصنيفات الأساليب المعرفية وأبعادها المختلفة:

يقصد بالأساليب المعرفية: أشكال الاداءات المفضلة لدى الفرد في تنظيم مدركاته وخبراته وأساليبه، واستدعاء ما هو مخزن في الذاكرة، وبشكل عام فهي الفروق في أساليب الإدراك والتذكر والتخيل والتفكير .

ويعرفها «جولد شنين» بأنه: تكوين فرضي يقوم بعملية التوسط بين المثيرات والاستجابات، ويشير إلى الطرق المميزة لدى الفرد في تنظيم البيئة وما فيها من موضوعات مدركة.

تصنيفاتها: لها عدة تصنيفات، ويعود هذا التعدد إلى كثرة التصورات والمداخل النظرية والدراسات التي تناولت هذه الأساليب بالبحث والدراسة وتصنيف وفق مايلي:

- **بعد الاعتماد مقابل الاستقلال عن المجال الإدراكي:** يتناول هذا البعد قدرة الأفراد على إدراكهم لجزء من المجال كشيء مستقل عن المجال ككل.

- **بعد التريث مقابل الاندفاع:** يرتبط هذا البعد بالفروق الموجودة بين الأفراد في السرعة أو التسرع في تقديم الاستجابات للمسرات المختلفة وتكون استجاباتهم غير صحيحة في حين يميل البعض على التأمل والتروي وتقليب الأمور بغية تقديم الاستجابة.

- **بعد التبسيط مقابل التعقيد المعرفي:** يميل بعض الأفراد إلى تبسيط المواقف التي يتعرضون لها، ويفضل هؤلاء التعامل مع المحسوسات والابتعاد عن المجردات.

- **المخاطرة مقابل الحذر:** يميل بعض الأفراد على المجازفة والمغامرة واقتناص الفرص من أجل تحقيق الأهداف التي يصفونها نصب أعينهم.

- **بعد تحمل الغموض والخبرات غير المألوفة مقابل عدم التحمل:** يستطيع صنف من الأفراد التعامل مع المواقف الغامضة وغير المألوفة بل وحتى الغريبة وغير الواقعية،

يقابلهم صنف آخر يتمكن من التعامل مع هذه الأمور بل يتعاملون مع ما هو مألوف وواقعي.⁽¹⁾

د. الخصائص العامة للأساليب المعرفية:

هناك بعض الخصائص التي تميز الأساليب المعرفية وهي:

- **تتميز الأساليب المعرفية:** بالعمومية والثبات النسبي عبر الزمان والمكان غير أن الخاصية لا تلغي وجود حالات استثنائية فقد اتضح أن الأسلوب المعرفي يميل نسبياً إلى الاستقرار عبر الزمن، وأن الأفراد يميلون على المحافظة على خصائصهم في الأسلوب المعرفي إذا قورنوا بأقرانهم.

- **الأساليب المعرفية:** أبعاد شاملة تمكننا من النظرية الشخصية بطريقة كلية فهي لا تقتصر على الجوانب المعرفية من الشخصية فقط، بل تتناول جوانب الشخصية الأخرى الانفعالية والوجدانية والاجتماعية.

- **تركز الأساليب المعرفية** على شكل النشاط وليس على محتواه فهي تتعلق بطريقة إدراك الأفراد وتفكيرهم بالكيفية التي يواجهون فيها مشكلاتهم، ولذلك فإنها أقرب ما تكون إلى العملية النفسية.

- **الأساليب المعرفية:** ثنائية القطب تبدأ من طرف له خصائص معينة وتنتهي عند طرف مناقض له عكس القدرات العقلية التي تبدأ من نهاية صغرى وتنتهي إلى نهاية عظمى.⁽¹⁾

¹-أمل الأحمد، بحوث ودراسات في علم النفس، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط 1 ، 2001 ، ص(131،130).

محاضرات ودروس تعليمية اللغة للسنة الثانية - ماستر (دراسات أدبية ولغوية) د. بلقاسم جياب

هـ. نتائج النظرية المعرفية:

- سلوك الإنسان يمليه العقل الذي يملك التوجه العام للإنسان، على اعتبار ان الكلام الإنساني نشاط حركي واعي.
- القيم ليست أوهاام بقدر ماهي نتائج التطور والحاصل في السلوك القيم الناتج عن التطور العلمي.
- المعلم يعمل على إعطاء وشرح ومناقشة الدروس، ويعمل على تهيئة العملية التي تجعل التلميذ محصلا لأكبر المعلومات.
- المنهاج فيها يقوم على ترابط الموضوعات، وليس على دروس فردية، وينوع من المصادر، ويستخدم أدوات تقنية.⁽²⁾

1-أمل الأحمد، بحوث ودراسات في علم النفس، ص130،129.

2-صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص27،26.